مفهومات في الإنسان والفن

بقلم : رجاء النقاش

— ١ —

إن موقف الاستاذ محمد توفيق حسين [١] من قصيدة السياب ينطوي على خطأين: أولهما في قوله « إن كل بيت في القصيدة عصب يتنفس إحساساً، وكل صورة فيها تضج بدم الحياة ». فهذا الكلام يحمل مفهوماً للشعر هو نفسه المفهوم الكلاسيكي الذي ينظر إلى البيت على انه وحدة فنية وشعورية قائمة بذاتها، دون العناية بالقصيدة كتجربة، كعمل متكامل لا انفصال بين جزئياته، وهذا المفهوم الكلاسيكي هو الذي حققه الشعر العربي القديم. وفي تاريخ تطورنا الفني، ثورة على المفهوم القديم، تبلورت، واخذت صورتها الايجابية الناضجة في المدرسة الحديثة، التي يدخل السياب ضمن نطاق الرواد فيها مع: صلاح عبد الصبور، وفدوى طوقان، ونازك الملائكة، وغيرهم. ومن ابرز مقومات هذه المدرسة الحديثة، الانفصال الذي يكاد يكون مطلقاً عن الواقع الفني القديم في ظاهرتين: أولاهما بروز القصيدة كوحدة موضوعية حتى ان كثيراً من الشعراء الذين ذكرناهم قد اتجهوا إلى خلق عالم اشبه بعالم القصة، فتجد الحدث action، متوفراً كعنصر بارز من عناصر بناء القصيدة. وقد كان الشاعر القديم يعتمد على تسجيل خاطر نفسي، او وصف خارجي للانفعال في وحدات منفصلة هي الأبيات، وكانت هذه الظاهرة الجديدة في شعرنا الحديث داعية بالضرورة إلى شدة التماسك في وحدة القصيدة حتى اصبح من « المستحيل » النظر اليها كجزئيات منفصلة — والظاهرة الثانية المتصلة بالاولى هي التغير الذي طرأ على الشكل Form في الشعر، فالشعراء الذين ذكرنا اسماءهم، قد اصبح من الصعب ان تحصل عندهم على وحدة في القصيدة اسمها « البيت » بالفهم القديم له، فالالتزامات العروضية اصبحت وسيلة يتصرفون فيها بحرية لخلق عالمهم النغمي. ومهما يكن من علاقة شكلية بين الاوزان في شعرهم، وقوانين العروض المعروفة، فاننا نستطيع ان نقول انه لا علاقة، مطلقاً، بين العروض القديم، والشعر العربي في المدرسة الحديثة التي اشرنا اليها، والفرق قائم بين: التزام الشاعر لقانون من الخارج، ولحالة نغمية داخلية يلزم ألا تتعدى هذا القانون الخارجي، وبين التزام مطلق للحالة النغمية الموجودة في نفس الشاعر، حيث تكون هذه الحالة هي الموجّهة وليس لها من ضابط سواها، فإذا اتفق الوزن عند الشاعر الحديث مع القوانين العروضية القديمة، فذلك محض مصادفة.

فالكائن الذي امامنا هو القصيدة، ولا نستطيع ان نقسمها الى ابيات إلا إذا قصدنا بذلك المعنى نفسه الذي نقصده حين نقسم قصة الى سطور.

هذا خطأ، والخطأ الثاني هو تصوره لمشكلة تونس، إذ ان المشكلة في اعتقادنا ليست مأتماً شرقياً للطم والندب، كما يفهم من كلامه، فمثل هذا الفهم هو نفسه عنصر من عناصر المشكلة، لانه لا يبعث في النفس ثورة عميقة واعية، بقدر ما يخلق اندفاعة لا تلبث طويلاً حتى تموت دون إحداث أثر ما، لانها تحمل في داخلها عوامل الفناء. والواقع ان مشكلة تونس وغيرها من مشاكل الشرق العربي، هي العناصر التي تخلق مأساة

(١) راجع العدد الرابع، السنة الثانية من الآداب — والعددين الخامس والسادس في باب « قرأت العدد الماضي من الآداب ».

أكون اكثر من هؤلاء معرفة به وتتبعاً لآثاره. وقد أطلت النظر في كتبه ومؤلفاته والسمع لمحاضراته واحاديثه، وكنت سعيدة برضاه عن أدبي وإهدائه إلي اكثر الكتب التي وضعها او شارك في تحقيقها، وطالما كان يلقانا بمجلسه — قريني وانا — ليحدثنا عن آخر مقال كتبه او كتاب بين يديه يتوخى فيه الجدة والاتقان، ولعله أكمل التأليف لخاتمة كتبه وكانت « الشرق والغرب ».

واليوم أترحم عليه وأصوره في هذه اللمحة الخاطفة لتصدر عن البلد الذي احبه وكان له فيه قراء وتلاميذ أحس روحه مدومة فوق رأسي باسمة لي كبسمته الهادئة في الدنيا، فيا رحمة الله الواسعة، ابسطي على الفقيد رياحين الخلود وسلام الطيبين المخلصين.

القاهرة — وداد سكاكيني

واحدة، هي مأساة «الانسان العربي» : مأساة عجزه عن معاصرة العالم، وعجزه عن تحقيق إنسانيته المسلوبة، وتخدره بذات المأساة، إذ لم يرتفع شعوره بها بعد الى هذا الحد الذي يدفعه الى ثورة عميقة يخترق فيها هذا الزمن الذي يفصل بينه وبين العالم، ويحدد قيم وجوده، ويعيش حياته في مستويات إنسانية أرقى - وهذه المأساة هي المنبع الاصيل، لاى فن عربي صادق، ومن هنا يكون خطأ ان تقول ان شاعراً انفعل بمأساة تونس، وفرداً آخر لم ينفعل بها، إن تونس ليس لها مأساة، ولكن لها مشكلة، اما المأساة فهي عامة شاملة ينسحب اثرها على كل عربي معاصر. وصحيح انها تأخذ في كل وطن صورة متمايزة عن غيرها في بعض الجوانب، ولكن هذا التمايز لا يمكن ان يتضح في الشعر الذي تحتم طبيعته الاحتفال بأشد العناصر كلية في المأساة، بينما يمكن ان يتضح هذا التمايز بين صور المأساة، في القصة او المسرح، ومن هنا ينبغي ان يكون وضع السؤال على وجهه الصحيح بالنسبة لقصيدة السياب، لا: هل أحس السياب مأساة تونس ام لا ؟ - ولكن : هل صدرت هذه القصيدة عن شاعر بالمأساة التي يعيش فيها العربي المعاصر ام لا ؟ - والفرق بين السؤالين هو الفرق بين مفهومين عن مقدرة مضمون الشعر على الاحتواء التراجيدي، احدهما وهو فهم الأستاذ حسين، هو ان الشعر يحتوي ويلزم ان يحتوي على التعبير عن الآني والجزئي في المأساة، وهو نفسه الفهم القديم الذي كان يتحقق في رثاء شاعر « لقائد مات »، او في « هجاء العدو »، و « مدح المكافحين » وغير ذلك - وثانيهما وهو ما نفهمه من ان الشعر لا يحتوي إلا التعبير عن « جوهر » المأساة، عن شعور كلي وعام ... متأصل غير آني، - وإجابتنا على السؤال بالنسبة للسياب هو انه احد الذين يشعرون بمأساة العربي بوجه عام، وان إحساسه يتميز بانه من اللون التأملي الهادىء، الذي لا يخلو من انقباض، ولذلك فعالمه النغمي اكثر هدوءاً من عالم غيره، حيث يتميز النغم بالعنف والنزوع الغنى للتمرد والثورة، مما يتضح منه ان شعر السياب يخلو مما وصفه الأستاذ حسين به من « ضجيج » الحياة وغير ذلك - وقصيدة « يوم الطغاة الأخير » لا تخلو من خصائص السياب، ولكنها اقل عمقاً من شعره واكثر هدوءاً حتى إنها تصل الى درجة الرتابة والبطء الانفعالي الشديد، مما دفعنا الى ان نقول انها مفروضة على الشاعر من خارجه : لكأنه كان يكتبها وهو ضجر.

هذا هو تفسير حكمنا على القصيدة، وقد قصدنا من هذا التفسير الى إثبات حقيقتين : اولاهما ان رأينا في القصيدة ليس رأينا في السياب، والثانية هي ان هذه القصيدة بالرغم من رأينا فيها بعيدة كل البعد عن عالم الاستاذ حسين : بمفهومه الكلاسيكي عن الشعر، وطبيعة إحساسه الآني غير العميق بمأساة الانسان العربي.

- ٢ -

ويقول الاستاذ محمد توفيق حسين إن الانسان المجرد خرافة، وانه ليس إنساناً من لحم ودم، وانا اسألك كيف فهمت هذا الفهم لكلامنا ؟ إن كلامك لا يعدو ان يكون وصفاً ومناقشة لمفهوم خاص بك، هو، كما فهمناه من مقالك : الماهية الذهنية للانسان المثال - اما نحن فلم نقصد إلى هذا المفهوم، ولو قرأت ما كتبناه قراءة متأنية، لما فرضت علينا مفهومك عن الانسان المجرد، ثم اخذت تناقشنا على هذا الأساس الخاطىء، - فقد قلنا الانسان المجرد بعد ان ضربنا ثلاثة نماذج من قصص عالمية مختلفة، ونموذجاً رابعاً لقصة روسية معروفة، وكانت النماذج المختلفة في تلك القصص هي : فلاح روسي، وطبيب قرية، وبنت صغيرة فقدت والديها، وناس في روسيا، وليس من المعقول ان نقصد بهذه النماذج التي ضربناها إنساناً خرافياً، وضمن القصص التي ذكرناها قصة « طبيب القرية »، وهي قصة ذات شهرة عالمية، اي قصة مكتملة فنياً من ناحية، وغنية بالتعبير عن إنسان موجود يعرفه العالم الذي أعجب بهذه القصة ووضعها في مكانها ذاك من ناحية اخرى. إن الذي قصدناه بالانسان المجرد، والذي يستطيع اي قارىء ان يفهمه من كلامنا لو اراد إلى الحقيقة لا إلى الجدل، ليس الماهية النظرية، ولكن الحقيقة الموجودة في كل إنسان على هذه الارض ... إنه انت وانا وغيرنا، على اختلاف البيئة والظروف : حين نحب او نبكي او ننفعل اي انفعال لا يصدر إلا عن نوع الانسان، إذ ليس هناك مثلاً حب روسي، وآخر مصري، ولكنه عاطفة تصدر عن الانسان حين يتجرد من كل عامل عارض او صفة اتصف بها مصادفة وليست البيئة والظروف الخارجية الاخرى، بالنسبة للانسان، إلا عوامل عارضة. كان من الممكن ان تتغير، ولو حاولنا ان ننظر إلى الفن منذ نشأته لوجدنا ان موضوعه الخالد، ونبعه الاول هو : الانسان المجرد كما قصدنا اليه،

ولم يحدث ان استمد عمل فني ، قيمته ، كفن ، من اتسامه بسمات بيئة معينة او صدوره عن اقتناع ذهني سابق بنظرية ما ، وقيمة اي نموذج ينجح الفنان في خلقه بقصة ما ، هو انه يصور الانسان المجرد ، في « أزمات » أو « حالات » أو « مواقف » ، وتدخل البيئة بل وتكون ضرورة احياناً ، فتخلق ما يدخل في خانة من الخانات السابقة : الأزمة ، او الحالة ، او الموقف ، ولكنها لا تكون مصدر النجاح او الاهتمام في الفن لأنها تقوم بدور العامل الخارجي الذي اصطدم به « الانسان » ، ولا قيمة لأي عامل خارجي لا يساعد على إشعار القارىء بمشكلة الانسان او ازمته . ولذلك فهو ينعدم في بعض الاعمال الفنية – حين تنعدم ضرورته ، دون ان يكون الانسان آنذاك ، خرافياً ، تماماً كما هي الحال في « طبيب القرية ... » لكافكا التي اخذت مكاناً كبيراً في الأدب العالمي بالرغم من تصويرها انسانا بلا بيئة ، ويكاد يكون بلا عصر لولا ارتباطه بأزمات الانسان المعاصر . وفقدان البيئة وغيرها من العوامل الخارجية في هذه القصة القصيرة ، لم يفقد طبيب القرية مقوماته كإنسان يكاد كل منا يجد نفسه فيه .

ولنأخذ فناناً « كتورجنيف » : ان ليزا في « عشّ النبلاء The nest of nobles » و « إلينا » في «ذات مساء On the Eve» ، لا يستمدان قيمتها كفن من انتسابها الى روسيا .. ابداً ، انها في الحقيقة بما فيهما من نزوع مثالي ، نموذجان إنسانيان اولاً ، وهل اصدق من سلوكهما دليلاً على ذلك؟ . لقد تخلت إحداهما ، إلينا ، عن وطنها روسيا ، وخرجت مع «انساروف» ، مؤمنة به وبقضيته ، وهو غريب عن وطنها وقضيته بعيدة عن قضيتها كروسية .. لم يكن لهما غاية من ذلك إلا تحقيق وجودها كإنسان مجرد ، لقد فضلت الحياة مع الافلاس والغربة والسل ، وتركت وطنها وطبقتها الناعمة . ولم يكن ترجنيف يوجه سلوكها في القصة الى غائية معينة ، كان ما تفعله هو غايتها : ان تحب ، ان تحب انساروف بما فيه من نزوع ثائر ، من ايمان بقضية ، من موت يأكل أيامه ويكاد يضع امام عينيها مأساة يقينية .. وحين تحدث المأساة بموت إنساروف ، تكتب الى امها من بقعة مجهولة : انها لن تعود .. ستكون إنسانة مجردة ، امتداداً لانساروف ، الذي غاب منذ قليل .

ولو كنت قد قرأت لفنان واحد من الذين ورد ذكرهم في

– التتمة على الصفحة ٦٤ –

قيصر

الجائعون على الطريق تجمّعوا وتجمهروا
يتهامسون على الرصيف .. هنا سيعبر قيصر
ويثرثرون كما الذباب على الفتات يثرثر
سيمرُّ يتبعه الجنود على الخيول .. تحدّروا
ويصيح طفل بالرفاق تفسّحوا – ويزمجر
ويمر ما بين الصفوف .. محاولاً .. يتعثر .
فيجره من خلفه طفل هنا .. متأخر .
فيشق فضلة ثوبه ، يبكي الغلام ويجأر
لكن آمال الصغار تموت ثمّتَ تنشر
سيمر قيصر من هنا ، مثل الغمامة تمطر
وتحفه الخيل النجيبة ، والنقود ستنثر
وتمدُّ أعناق الصغار إلى الفضاء لينظروا
سيمر بين طريقنا . متهاديا .. يتبختر
ويبعثر الذهب النضار – على الرؤوس يبعثر
ويقول طفل : يا رفاق أتسهرون ، سأسهر
وإذا ابي نادى علي .. اما تجيء .. وتحضر
سأقول .. لا .. واظل العب والنجومَ واسمر
ومع الصباح سأشتري حلوى تلذ وتسكر
فتقول امي : هل سرقت ؟ أما تخاف وتزجر ؟
فأقول لا .. لا ما سرقت .. لقد تبرّع قيصر .
ومضى الزمان كأنه فوق الحياة مسمّر
والريح تقتلع التراب من الطريق وتنثر
والمرهقون عيونهم جمدت فما هي تبصر
والبرد يهرأ لحمهم فوق الرصيف ويعصر
وهناك اقبل حارس بعصاه موت .. احمر
ورمى الحفاة بنظرة .. منها الحفاة .. تحجروا
امضوا ولا تقفوا هنا وحذار ان تتأخروا
وخذوا الذباب ، ذبابكم ، فلسوف يعبر قيصر

القاهرة **كيلاني حسن سند**

مفهومات في الانسان والفن

— التتمة من الصفحة ١٦ —

مقالك، لعرفت ان الانسان المجرد متحقق في «راسكلنيكوف» و «سونيا» في الجريمة والعقاب، لدستويفسكي، و «بب» في «آمال كبار Great Expectations» لدكنز، و «محسن» في «عودة الروح» للحكيم، و «ماتيو» في «طرق الحرية» لسارتر.

اما قصة اهرنبورج، فما من نموذج واحد فيها، يقتل، او يعيش إلا لأنه «قاوم الانسان»، او «خان روسيا» او «اخلص لها» او «رفض الهتاف لهتلر»، ما من إنسان واحد فيها يستحق الحياة، لمجرد انه انسان، وما من انسان «يقتل بلا سبب»؛ وهذا «الحادث»، الذي يخلق موضوعاً لمهنة الحروب، يتكرر كثيراً.

— ٣ —

كان ضمن الأبحاث التي قرأناها في العدد الرابع من «الآداب» البحث الذي كتبه الأستاذ عبدالحق فاضل عن «اهل الكهف»، وقد حاولنا ان نستخلص من هذا البحث الطويل مفهوماً محدداً واضحاً عن المسرحية، او أزمة معينة دفعت صاحب البحث الى كتابته، أو تمثلاً لتجربة اهل الكهف يوجه صاحب البحث الى الربط بين هذه المسرحية وواقع المصريين، او بينها وبين صاحب المسرحية فعجزنا تماماً، ووصفنا البحث بالتخلخل والاضطراب والبعد عن جوهر المسرحية كعمل فني، وعرضنا لرأي من آراء صاحب البحث وناقشناه مناقشة تفصيلية، فقلنا إن انسحاب اهل الكهف من الحياة لا يحكم عليه بمقياس التزام الأصل الأسطوري، لأن الأسطورة اصبحت ملك الفنان منذ ان احتواها في نفسه ليخلق منها عمله، وله ان يوجهها كما شاء، تبعاً لأهدافه من خلق الشخصيات وتحريكها داخل البناء المسرحي. وقلنا ايضاً، إن دراسة مسرحية كهذه، ينبغي ان تتعرض اول الأمر لمشاكل منها تفسير اختيار الفنان للأسطورة.

وإن من يعاني تجربة الحياة في مصر يستطيع ان يتبين بوضوح ان الأزمة الحقيقية التي يعانيها الانسان، هي اصطدامه الدائم بالواقع الذي يعيش فيه، وعجزه في الغالب، بعد تمرد وقتي، ولظروف بعضها يرجع اليه من «الداخل» والبعض يرجع الى «خارجه»، عن إخضاع هذا الواقع له مما يؤدي الى مظاهر [١] متعددة تتفق في دلالتها: تتعدد في الشكل، وتتفق اخيراً في ان مضمونها واحد من حيث دلالته على انتصار الجانب الهروبي في الشخصية المصرية. وقد تأخذ هذه النزعة صورة منحرفة في مجال السلوك، فتكون بذلك إيجابية التدمير. وقد تأخذ صورة اتكالية عابثة حيث تصبح اهمية الأشياء بالنسبة للفرد آنذاك هي ما يتصل بذاته، وبالمناطق السطحية في هذه الذات .. فـ «انا»، وغالباً «انا الظروف، والوظيفة، والخارج» ... هذا هو المقياس وعلى اساسه، يتخذ موقفه من الأشياء، وكم قال «هذا الأمر لا يعنيني ... انا ما لي» إزاء أشد ما يتصل بوجوده وإنسانيته. هذه هي حقيقة الانسان في مصر، تحسها الاجيال الصاعدة، وتحس ان لها تاريخاً بدأ من قديم منذ عالم الأهرام ... القبور، والمعابد ... وتحنيط الجثث. إنها عبقرية الخوف من العدم، والانسحاق امامه، والتفكير المستغرق فيه — وقد حاولت هذه الاجيال تفسير الاعمال الفنية الناجحة، على اساس ارتباطها بهم، وبنزوعهم الى تحويل هذا الخط الهروبي الممتد، وبمأساتهم مع الواقع، ومع الزمن، وهم في ذلك أصدق من الآخرين وأقرب الى لمس الحقيقة، التي ترتعش بحرارة في تلك الآثار، وهم ايضا على حق، حين يندفعون في قوة الى الدفاع عن تلك الآثار التي لمست من اعماقهم الجرح، وشعروا من خلالها بجوهر مأساتهم ... ألسنا على حق حين نثور على نظرة ترى في اهل الكهف اربعة فصول، وحواراً، وعدداً من الشخصيات والأمكنة ؟! وبعد ذلك نحاول ان نجد في هذه النظرة عمقاً، وخبرة بالمسرح، فإذا بها نظرة سطحية لا تعتمد إلا على قراءة سريعة لا قيمة لها.

يقول الاستاذ فاضل، إنه قرأ بضعاً وعشرين مسرحية لشكسبير وشو، ولو كان الاستاذ قد قرأ بضع مسرحيات لهما، قراءة ناقد يهيء نفسه لهدم عمل فني له قيمته، لما رأيناه يتحدث عن المسرحية على اساس مبدأ المعقولية الذي دعا أرسطو الى ضرورة التزامه في العمل المسرحي، فكان شكسبير أول ثائر على هذا المبدأ، حيث أدخل في مسرحياته قوى لا إنسانية كالاشباح Ghosts، كما نرى عنده شخصية «العراف» الذي يتنبأ فيصدق تنبؤه في خلال الاحداث المختلفة للمسرحية

(١) من هذه المظاهر تغلب الغايات الفردية القريبة دائماً في توجيه السلوك وانتشار المخدرات في بعض الطبقات، وخلق مجالات متعددة لبعثرة الفراغ، وغيره احياناً، في عمليات سلبية، فارغة من المعنى ... الخ

ولو كانت تاريخية . وكان الكثير مما اخذه الاستاذ فاضل على مسرحية الحكيم قائماً على أساس مفهوم يرى ضرورة توفر هذا المبدأ في المسرحية ، وهو مبدأ يناقش مناقشة طويلة لو ان صاحبه عرض لنا مفهومه عن المسرحية بوضوح في اول البحث . اما ما أسماه بالتكلف وأجهد نفسه في إحصائه وتسجيله ، فيرجع أغلبه الى ما يمكن ان نسميه « بالضرورات المسرحية » ، التي لا يخلو منها عمل مسرحي ما ، باعتبار ان الكاتب المسرحي ، يقوم بعملية « حصر » لشخصياته واستخلاصهم من الحياة الواسعة المضطربة ثم إبرازهم بعد ذلك في عمله وتوجيه الانتباه اليهم دون غيرهم .

ونعرض هنا نموذجاً من شو ، الذي قرأه الاستاذ فاضل ، ففي الفصل الاول من مسرحيته « بجماليون » مجموعة من المواقف والاحداث المقصودة ، التي لا هدف منها إلا مجرد عرض شخصيات المسرحية وإبرازها أمام المشاهد أو القارىء ، بينما لا تبدأ المسرحية كأحداث actions ، متصلة بالموضوع الرئيسي إلا منذ الفصل الثاني . ونستطيع على طريقة الاستاذ فاضل ان نخرج من التعسف او التكلف – على حد تعبيره – أحداثاً تفوق فيما تحمله من قصد وافتعال ، ما اخذه على توفيق الحكيم – فمثلاً ، في هذا الفصل ، يلتقي هيجنز البطل ، مع إليزا ، البطلة ، مصادفة – وفي موقف من هذا الفصل اخذ هيجنز يتحدث مع إليزا ، ويقول لها إن بامكانه ان يرفع من مستواها كبائعة زهور متجولة ، الى مستوى ملكة بتغيير طريقتها الصوتية في الحديث « Phonetic » – وكان بجوارهما عابر طريق ينتظر انتهاء المطر (الذي كان بمثابة السبب الذي جمع بين شخصيات المسرحية الرئيسية في هذا الفصل) ليمضي ، فسأله هيجنز : هل تستطيع ان تصدق ذلك ؟

الرجل : بالطبع استطيع ، انني انا نفسي دارس لهجات هندية ، و . . .

هيجنز (بشغف) : صحيح ؟ هل تعرف الكولونيل بكرنج ، مؤلف « السنسكريتية المنطوقة » ؟

الرجل : إنني الكولونيل بكرنج . من انت ؟.

هيجنز : هنري هيجنز ، مؤلف « ألف باء هيجنز العالمية ».

بكرنج « في حماسة » : لقد جئت من الهند لاقابلك .

هيجنز : وانا ، لقد كنت على وشك الذهاب الى الهند لاقابلك » .

أليس هذا تكلفاً بمنطق الاستاذ فاضل ؟. إنك لو أحببت ان تحصي على هذه الطريقة مواقف في الاعمال المسرحية المختلفة ، لما خلا عمل واحد منها ، وهذا كله لا يختلف عما اخذه الاستاذ فاضل على توفيق الحكيم في اهل الكهف – ولكنها الضرورات التي يستطيع ان يفهمها الناقد حين يدخل في اعتباره انه بإزاء شكل مغاير كل المغايرة للأشكال الأخرى .

ومن اهم ماتتطلبه المسرحية كشكل فني يتميز عن غيره ، القدرة المكتسبة على البناء الفني من الناحية التكنيكية ، إذ لا تكفي الموهبة او المقدرة على الحوار او غير ذلك من الطاقات غير المكتسبة ، التي تكفي في القصيدة بل وفي القصة احياناً – اما الناقد المسرحي فجانب الدراسة ينبغي ان يتوفر فيه بنسبة عالية ، عليه ان يفهم تاريخ المسرح فهماً واعياً مرتبطاً بتطوراته الفنية حتى يدخل بعد ذلك إلى هذا المجال النقدي ، فلا يتعثر بتلك الاخطاء التي وقع فيها الاستاذ فاضل . ومجرد قراءة بعض المسرحيات لا يكفي ، فكثير من هذه الاعمال تختفي قيمته الحقيقية وراء الشخصيات والمواقف ، والحوار ، مما يفوت غالباً القارىء الذي لم يستفد من تجارب الآخرين وخبراتهم في تمثل الفن المسرحي وفهمه .

وقد كان من أبرز الاخطاء المنهجية التي وقع فيها الاستاذ فاضل انه كان يعتمد في فهم « اهل الكهف » وتقويمها ، على ما قاله توفيق الحكيم نفسه : إما عنها ، او عن الفن المسرحي بوجه عام . إن ما يقوله الفنان عن نفسه او عن فنه يجب ان يكون قابلاً للمناقشة كغيره تماماً .

ومن هذه الاخطاء ايضاً ، غلبة طريقته الساخرة في عرض المشاكل ومناقشتها ، وفي هذه الطريقة افتراض ضمني بأن صواب احكامه مطلق ومؤكد ، مع اننا في دورٍ حاجتنا فيه إلى الدراسة الموضوعية المتزنة للمشاكل والظواهر ، اشد من حاجتنا إلى اي شيء آخر . فالجهد الذي بذله الاستاذ فاضل ، كان في طريقة اصطناعية للنكتة ، وتلقفه لها كلما حانت لذلك ادنى مناسبة – فمثل هذا الجهد الذي يبعثر وقت القارىء ، لا استطيع ان انبه اليه في نقدي للبحث ، لأنه جهد فارغ من المعنى والقيمة . ولو كان في بحث الاستاذ فاضل مجرد مخالفة لفهمنا لمسرحية اهل الكهف ، لما كان في ذلك شيء ، ما دام الكاتب يحاول باخلاص ان يصل إلى حقيقة . اما ما أحسسناه من البحث إلى جانب اخطائه الموضوعية البارزة ، فكان عكس ذلك تماماً .

النشاط الثقافي في الغرب

ايطاليا

« الموسيقى في القرن العشرين »

كان موضوع المؤتمر العالمي للموسيقى المعاصرة الذي عقد في الشهر الماضي بروما «الموسيقى في القرن العشرين» . وقد تناول المؤتمرون قضايا الموسيقى المعاصرة والموسيقيين واعمالهم ، وتبع ذلك تقديم ١٣ حفلة موسيقية تتألف برامجها من قطع موسيقية لمؤلفين معاصرين . وقد اشترك في المؤتمر والحفلات عدد من كبار الموسيقيين العالميين نذكر منهم ايغور سترافنسكي وميلهور وكوبلاند ومالبيارو ورولان مانويل وسوغيه .

وفي اطار المؤتمر نفسه اشترك اثنا عشر مؤلفاً من ثمانية بلدان مختلفة في مسابقة عرضت فيها قطع موسيقية الفت من قبل . وقد نال الجائزة الاولى (وقيمتها زهاء الف وخمسمئة جنيه استرليني) موسيقي ايطالي في حوالي الاربعين من عمره ويدعى (ماريو بيراغالو) Mario Peragallo

النشاط الادبي

يبدو ان النشاط الادبي هذا العام اقل حيوية من الاعوام السابقة ، لا بسبب قلة المنشورات وانما بسبب نوعية هذه المنشورات .

ومن بين الكتب التي تستحق الاشارة مجموعة البرتو مورافيا Moravia التي عنوانها « قصص من روما » وهي تضم خير مزايا مؤلف « اغوستينو » Agostino ونذكر كذلك كتاب ايتالو سفافو Italo Svevo بعنوان « دراسات » وهو يكشف عن شخصية المؤلف وقيمة تفكيره . وهناك قصة لكارلو مانتيلا Carlo Mantella بعنوان « اقرباء الجنوب » تسجل تجارب المؤلف الذي قدم الى جنوب شبه الجزيرة زمن الحرب. وقصة لفيدو لوبز Guido Lopez عنوانها « التجربة من جديد » تتناول قضية العمل المجاني ؛ ومن الروايات المسلية حكاية لماريو توبينو Mario Tobino عنوانها « ايطاليان في باريس » .

وينبغي ان ننتظر الخريف القادم لنشهد هجوماً ادبياً حقيقياً يعد منذ الآن بانه سيكون خصباً بظهور عدد من الآثار لكبار الكتاب الايطاليين كالفارو Alvaro وبرانكاتي Brancati وبوزاتي Buzzati وموراڤيا وبراتوليني Pratolini وسيلوني Silone وفيتوريني Vittorini .

انباء المسرح والسينما

اما المسرح فيشكو انعدام المسرحيات الجديدة . ففي مسرح الفن Teatro delle Arti لا تزال مسرحية La Mandragore لمكيافيل تمثل بنجاح منذ اشهر . وفي الاليزيو Eliséo تنال مسرحيات « سيرانو دي برجيراك » و « الكذاب » لغولدوني و « بغاليون » لبرنارد شو نجاحاً ملحوظاً . وقد اجتذب مسرح Valle بتمثيلية « تيريز راكين » لأميل زولا عدداً كبيراً من الحضور اتوا يصفقون لموهبة الممثلة الشهيرة ايما غراماتيكا Emma Gramatica في دور الام . وقد اعلن عن مسرحية « اليهودية » لميسيكا Miscica التي ستمثل قريباً وقد نالت جائزة بيراندللو في العام الفائت .

ومن انباء السينما ان المخرج المعروف لويجي زامبا قد انتهى من تصوير فيلم « الرومية الجميلة » المأخوذ من رواية مورافيا ، وسيقوم بالأدوار الرئيسية جينا لولوبريجيدا ودانيال جيلان ورايمون بيليغرين . ويرجو دوسيكا ان يفرغ من فيلمه « ذهب نابولي » في هذا الشهر ، وسيقدم باغلياروفيلمه الاخير « الباب الذهبي » بعد اسابيع . اما لوشيانو ايمر فقد انتهى من فيلم « الصف الاول » الذي اختار ابطاله جميعاً من الطلاب .

بلجيكا

نظرة في الرواية

يقولون ويرددون ان بلجيكا هي قبل كل شيء ارض شعراء ورسامين ، وان الروائيين فيها قليلون جداً ومعظمهم محليون . وهذا في الواقع ميزان

ويرى الاستاذ حسين اننا لم نفهم البحث — كيف ؟ نحن لا ندري ذلك — اما ما لديه من ادلة لمناقشتنا فهو :

١ — ان توفيق الحكيم اعلن كثيراً ان المسرحية تصور صراع الانسان مع الزمن — فهي بهذا لا علاقة لها بالمصريين .

٢ — ان المصريين شعب ، كأي شعب ، غير هارب من الحياة : إنهم اول من ثاروا على العدم فحنطوا الجثث .

اما الدليل الاول فهو واهٍ لسببين : أولهما ما نرفضه منذ البدء ، من الاعتماد على فهم الفنان لعمله كمقياس لفهمنا او فهم الآخرين . إنها حقيقة بارزة : قد يخطىء الفنان في فهم عمله بل وفي تقديره . اما السبب الثاني فهو ان مشكلة الصراع مع الزمن لا تتنافى مطلقاً مع تصوير المصريين ، باعتبار ان هذا الصراع هو تجربتهم ، وهزيمتهم في النهاية هي مأساتهم. وأغلب الظن ان « الصراع مع الزمن » ليس له مدلول ما ، في ذهن الاستاذ حسين ، وإلا فليشرح لنا كيف يتناقض صراع الانسان والزمن ، مع تصوير المصريين .

اما ان المصريين غير هاربين من الحياة فنعتقد اننا قلنا ما فيه الكفاية حتى عن ظاهرة تحنيط الجثث ، تلك .

بقي سؤال : ترى أأنا الذي لم أفهم بحث الاستاذ فاضل ، أم ان هناك إنساناً لم يفهم البحث ولم يفهم تعليقنا عليه ، ولم يفهم اولاً واخيراً مسرحية «اهل الكهف» ذاتها ؟

القاهرة — رجاء النقاش

غير دقيق للأدب البلجيكي . فان الروايات التي تصدر في هذه الايام معظمها روايات عامة غير محلية .

ومن اكبر روائي بلجيكا المعاصرين ايغيسبارس Ayguesparse وهو في الوقت نفسه شاعر وناقد ومدير مجلة . واشهر رواياتـــه (ساعة الحقيقة) L'heure de la Vérité ، و (ظلنا يسبقنا) Notre Ombre nous précède التي نالت جائزة روسل في العام الماضي و(جيل من اجل لا شيء) Une génération pour rien ، وقد صدرت حديثاً . وايغيسبارس هو في الوقت نفسه روائي الريف والاسرة ، وهو مغرم بالألوان العنيفة ، ولكنه مأخوذ بحاجة متصلة للنظام والقياس . وهو يبني معظم شخصياته على هـــذه الثنائية . فبطله (لوفيرجوا) ، وهو احد اشخاص رواية (جيل من اجل لا شيء) هو نموذج هذه الثنائية . فأنه يحلم بان يكون على رأس افراد جيله ليصنع منهم صناعاً وتكنيكيين ؛ ولكن الرغبة في الانتصـــار والحاجة الى الانكار هما من قوة الامتزاج بحيث ان هاتين القوتين تعجزان عن الكسب. وهذه الرواية قصة واقعية من طراز قصص فلوبير ، ومؤلفها يبرع في رسم صور الشخصيات وتصوير الحوادث المتحركة المؤثرة وتميز اشخاصه الثانويين.

اما المجلة التي يديرهـــا ايغيسبارس فهي Marginales التي تحتفل قريباً بعيدها العاشر ، وهذه المجلة تعطي القاريء لوحة اقرب ما تكون الى الدقة والصدق عن الحياة الادبية البلجيكية وعن اتصال هذه الحياة بالمظاهر الادبية في سائر انحاء العالم .

ومن الروائيين الممتازين هنري كورنيلوس Henri Cornélus الذي اصدر اخيراً رواية بعنوان (كوفة) Kufa اثارت اهتماماً ملحوظـــاً ، وهي قصة شاب مثقف شديد الحساسية، يحب الزنوج ولكنه لا يحسن الانسجام في الكونغو . والمؤلف بارع في رسم الخطوط البارزة ، وهو عنيف واوصافه حسية عميقة تعبر احسن تعبير عن كآبة البطل .

ولعل لويس ديبرو Louis Dubrau هي اعمق الروائيات البلجيكيات وابرعهن في التحليل النفسي . وقد نشر لها اخيراً رواية (المنحدر الآخر) L'Autre Versant التي تتميز بالبساطة والطبيعة . ومثل هذا يقال عن رواية « Les Dimanches où le monde est jeune » لجورج لنز Georges Linze .

جوائز

منحت جائزة (جورج فاكسلير) الاكاديمية هذا العـــام لكلود سباك Claude Spaak على مسرحية (وردة الرياح) La Rose des Vents التي تعد نصراً مسرحياً كبيراً والتي تمثل منذ اشهر على المسرح الوطني .

ونال رينه جول كورنيه René - Jule Cornet جائزة (شاتريان) على قصة (معركة السكة) La Bataille du Rail التي يروي فيهـــا حكاية مد اول سكة حديدية في الكونغو البلجيكي .

امـــا جائزة الرسم فقد نالها روجيه دودان R. Dudant الذي ينقل الواقع نقلاً فنياً مدهشاً ، وقد اقيم له معرض في (مسرح الجيب) ببروكسل .

فرنسا

ازمة في المسرح

كتب الناقد الفرنسي المعروف تيري مولنيه Thierry Maulnier في (مجلة باريس) La Revue de Paris (عدد حزيران) مقالاً هاماً تحدث فيه عن المسرح الفرنسي ، فذكر ان مسرحيات هذا العـــام لم تنل النجاح المنتظر الذي نالت مثله مسرحيات الاعوام السابقة ، بالرغم من ان قيمتها لا تقل عن قيمة هذه . وقال ان المسرح الفرنسي يمر الآن بأزمة ، وإن كان كفن غير مهدد بالزوال . فلا السينما ولا الراديو ولا التلفزيون قادرة على ان تحل محله . وهو كصناعة يجابه ازمة مالية من اسبابها منافسة السيارات له : « فان عدد السيارات التي تقطع فرنسا قد تضاعف خـــلال السنوات الخمس الاخيرة ، وان باريس تجد نفسها فارغة في نهاية الاسبوع ابتداء من منتصف نيسان ، وهذا ما يظهر جلياً في عائدات شبابيك المسارح يومي السبت والاحد خصوصاً ، وهما في الاساس من اهم ايام الاسبوع .

ثم ان السيارة تفر تمثيل المسرحيات خلال الاسبوع لأنها تتطلب نفقات باهظة من تصليح وكاراج وبنزين ، فضلاً عن انها ينبوع مسرات ، ومـــا تقتضيه من نفقات ينقص من امكنة اخرى ، من المسرح والسينما مثلاً . »

ويقول الناقد بعد ذلك ان في باريس عدداً من المسارح يزيد عن حاجة الجمهور ، او عما تستطيع باريس ان تغذيه من المسارح .

كامو و « الصيف »

صدر حديثاً لألبير كامو Camus مجموعة دراسات هامة بعنوان (الصيف) L'Eté يبدأها المؤلف بالحديث عن وهران (عاصمة الضجر التي تحاصرهـــا البراءة والجمال) ويجد القاريء في الكتاب صفحات تأملية رائعة عـــن فن سؤال الحجر ان يخلف التأثر الذي يطلب عادة من الوجوه . والحق ان المناظر الحجرية اوحت ولا تزال توحي لكبار الكتاب شعوراً بالجفـاف يكتنفه احساس من التقوى . وها هو كامو ، بعد موراس وباريس وجيد يتحدث بهذه اللهجة التي تفترض انسجاماً لذيذاً من عالم الاحيـــاء والضجة . وجميع الدراسات التي يضمها هذا الكتاب ذات اهمية كبيرة . فبعد دراسة عن الفكر اليوناني الذي « انكمش دائماً عند فكرة الحدود » في حين ان الفكر التاريخي لعصرنا ينشد دائماً طغياناً « غير محدود » ، يتحدث كامو عن قدره هو بالذات : فان الحرب قد اغرقته في الرعب وقذفته في خيال العبث ، ولكن ذلك لم يكن له موضوع ايمان لا يتزعزع ، وإنما كان فكرة من فكر كثيرة ممكنة. ان كامو يرفض ان يظل ابداً مشدوداً الى (سيزيف) : فان هذه الضجة ، ضجة الالهة ، لا تستطيع ان تملك ارادة الحياة اذا لم ترفض شيئاً من الحياة التي هي حياة كامو وحياة كل انسان سواه . ولقد عبر المؤلف عن ذلك كله برصانة ونبل .

« سلاماً ، ايها الحزن »

منحت «جائزة النقاد» هذا العام لفرانسواز ساغان Françoise Sagan على روايتها « سلاماً ايها الحزن » Bonjour Tristesse . وقد اثارت هذه الرواية اهتماماً بالغاً في الاوساط الادبية ، لا سيما وان مؤلفتها فتاة لا

النشاط الثقافي في الشرق

ايران

لمراسل « الآداب » الخاص

اطلاق سراح اساتذة الجامعة

اطلق في اواخر الشهر الماضي سراح اساتذة جامعة طهران الذين كانوا يتعاونون مع الدكتور محمد مصدق الرئيس الايراني السابق بعد ان مكثوا في السجن – رهن التحقيق والمحاكمة – اكثر من تسعة اشهر عجاف . وبين هؤلاء الدكتور مهندس رضوي استاذ الكهرباء في كلية العلوم والدكتور شايكان والدكتور صديقي من اساتذة كليتي الآداب والحقوق .

ولقد كان لخبر اطلاق سراح الاساتذة – الذي كان بفضل جهود ومساعي رئيس الجامعة الدكتور علي اكبر سياسي لدى جلالة الشاه – رنة استحسان في المحافل الادبية والسياسية على حد سواء، وأفاضت المجلات والجرائد مشيدة بفضلهم واخلاصهم في سبيل اداء رسالتهم العلمية والسياسية للبلاد .

كتب عربية مترجمة

من الكتب العربية التي ترجمت الى اللغة الفارسية في الشهر الماضي كتاب (عبقرية محمد) للاستاذ العقاد ، وقد قام بالترجمة الدكتور اسد الله مبشري وكتاب (حياة علي بن موسى الرضا) تأليف عبد القادر احمد اليوسف والمترجم غلامرضا رياضي، وكتاب الدكتور طه حسين عن علي بن ابي طالب وترجمة احمد اكرام ، وقصة (لقيطة) للاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله بقلم جعفر رائد . ولقد اطرت مجلة (كاويان) القصة وامتدحتها . وكتاب (روبسبيير) للاستاذ قدري قلعجي وقد قام بالنقل الاستاذ محمد خاور. وقد كتبت مجلة (سبيدوسياه) مشيدة بالكتاب والكاتب وداعية الى ترجمة بقية كتبه التي لا تخلو من فوائد وخدمة للشعب على حد تعبيرها .

كتب مترجمة اخرى

ولقد ترجمت كتب اخرى الى الفارسية من اللغة الانكليزية والفرنسية منها : المساكين لفيكتور هيغو ترجمة حسينقلي مستعان ، وتاريخ ايران ايام الساسانيين وهو تأليف آرتور كريستن سن وترجمة ياسمي ، و (بياتريس) لآنور شنيتسلر وترجمة الدكتورة سيمين دانشور ، وقتلى منتصف الليل للقاصة العالمية آجاتا كريستي ترجمة ج.منصوري ، ومسرحية نهاية عمر لارثر ميلر وشمس الجنوب لارسكين كالدويل، والثري لايوان بونين وابن الشمس لجاك لندن والطفليون لغركوثي جيكي ، وجان دارك لميترلنك وسواها .

الكتب الموضوعة

اما الكتب الموضوعة فكان نصيب الشهر الماضي منها كثيراً ايضاً ، فلقد نشرت (خواطر العلامة سيمي) رئيس الاكاديمية الايرانية الذي توفي منذ شهرين، وصدرت رواية جديدة للقاص الايراني المعروف الاستاذ محمد حجازي بعنوان (الشك) ، كما صدرت مجموعة شعرية رقيقة للشاعر المتجدد نادر بور باسم : (العيون والايدي) ، وصدر المجلد السابع من كتاب تاريخ العلاقات السياسية بين ايران والأنكليز بقلم محمود محمود ، وتاريخ يقظة ايران – الطبعة الثانية – تأليف ناظم الاسلام وتاريخ الأدب الايراني – الجزء الاول – من الفترة الاسلامية الى العهد السلجوقي تأليف الدكتور ذبيح الله صفا ، و (ابن سينا) لسعيد نفيسي ومجموعة مختارة من شعر الشاعر المعاصر شهريار ، ومجموعة اخرى لعلي اكبر سعيدي ، كما صدرت في طبعة انيقة قصيدة الشاعر الكبير صادق سوق عن ابن سينا، وقصيدة اخرى للشاعر كاظم رجوي احد اعضاء الاكاديمية الايرانية في نفس الموضوع .

زكي الصراف

تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها ، وانها بهذه الرواية الاولى قد شقت لنفسها طريق المجد .

والجدير بالذكر ان هذه الفتاة قد سقطت في امتحانها في حزيران من السنة الماضية ، فكان منها ان جلست الى طاولتها ، وابعدت الكتب المدرسية وراحت تمثل دور الكاتبة . وقد اكتفت بثلاثة اسابيع قضتها على الشاطيء واستلهمت قلماً في نفسها هو رغبة في الحب وحيوية كئيبة ، وبدأت عبارتها الاولى : « في ذلك الصيف ، كان لي من العمر سبعة عشر عاماً » وتدفقت بين يديها بعد ذلك اعماق الماضي وانوار الحاضر ، وذكريات حياة عاشتها ، وحياة تود ان تعيشها ، (وأنوات) تريد ان تحررها من نفسها ... فسلاماً ايها الحزن ، وسلاماً ايتها المسرات والاحلام ، وسلاماً ايها الادب !

وقد اجمع النقاد على ان فرانسواز ساغان تملك موهبة قصصية وسهولة مدهشة في السرد ؛ وروايتها عبارة عن (كوكتيل) بارع : صداقة تكاد تكون حباً بين اب وابنته ؛ والأب حائر بين امرأتين ، تستخدم الابنة احداهما لتقهر الثانية ، ثم تستخدم عشيق الاولى لتتسلط عليها ؛ كل ذلك في جو من الرغائب والاهواء والالوان والظلال التي تكسب الرواية غنى كبيراً تحدث عنه كثيرون من النقاد ، وعلى رأسهم روبرت كامب واميل هنريو وغبريال مرسال ، وقد هاجم هذا الاخير النزعة الاباحية في القصة ، وإن كان قد اعجب بموهبة المؤلفة .

ومهما يكن ، فقد نجحت هذه الرواية ، واعتقد الناس انها تنبيء بميلاد كاتبة روائية من الطراز الاول .

جوائز اخرى

● منحت لجنة (فينا) جائزة (فاكارسكو) لأنطونيا فالانتين A. Valantine على كتابها (درامة البير انشتاين) Le Drame d'Albert Einstein .

● وزار فرنسا في الشهر الماضي الروائي الروسي ايليا اهرنبورغ وسلم بيار كوت جائزة ستالين للسلام .

● ومنحت الاكاديمية الفرنسية جائزة الادب لجان غيتون Jean Guitton على كتابه (احاديث مع مسيو بوجيه) Dialogues avec Monsieur Pouget كما منحت جائزة الرواية لبيار موانو Pierre Moinot على روايته (الصيد الملكي) La Chasse Royale .

● ومنحت جائزة (ريفارول) هذا العام لشاعر يوناني يدعى جورج سبيريداكي Spiridaki على ديوانه (الموت الواعي) ودراسته عن (اليونان والشعر الحديث) .

● ومنحت جائزة (الفكاهيين) لراندال لوموان Lemoine على كتابه (هؤلاء الصغار الاعزاء) Ces chers petits